مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٣) ١-١٦

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

فطرية الإعتقاد بالله: دراسة نقدية

محمد رسول آهنگران[١]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/٦/٢ تاريخ القبول: ١٤٣١/٦/٢٤

تعتبر مسألة الإعتقاد بالله في رأي كثير من علماء المسلمين مسألة فطرية. و سبب شهرة هذا الرأي هو وفرة الأدلة النقلية، و التي يفهم منها هذا المعنى في بادئ الأمر. فقد خصصت الكتب الروائية قديما بابا تحت هذا العنوان. و في هذه المقالة سوف نلاحظ أن هذه المسألة ليست أمرا فطريا لا بالمعنى الجبلي و لا بالمعنى الإدراكي؛ و السبب في ذلك أن جميع معايير المعنى الأول ليست تامة كما أن الفطرية بالمعنى الثاني ليست مقبولة لأنها بحاجة إلى بحث عقلي للتصديق و رد الشبهات، مع أن مفهوم الله في مرحلة التصور بحاجة إلى دقة و بحث كثير و هذا ما يدل على أن هذا المفهوم هو من المفاهيم النظرية. و من هنا يتبين أنه ليس المراد من الأدلة النقلية هو ما يظهر منها في الوهلة الأولى.

الكلمات الرئيسية: الفطرة، الجبلي، الفطريات، الأوليات، الإعتقاد بالله.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. استاذ مساعد، جامعة طهران، پرديس قم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المقدمة

المشهور عند المتكلمين و المتخصصين في المباحث العقلية هو أن مسألة الإيمان و الإعتقاد بالله هي مسألة فطرية. في المرحلة الأولى لا بد أن نبحث عن معنى الفطرة ثم نتناول المعيار في فطرية أي أمر من الأمور و بعد الانتهاء من تلك المقدمتين من الضروري التطرق إلى أدلة الذين ذهبوا إلى فطرية الإعتقاد بالله سبحانه و تعالى، و بعد إبطال هذه الأدلة يتبين لنا أن التمسك بفطرية الإعتقاد بالله غير صحيح و من خلال ذلك أيضاً يتضح أنه لا توجد أدلة شرعية تدل على هذا المدعى، ثم نبين المراد من الآيات و الروايات التي يدل ظاهرها على فطرية الإعتقاد بالله لأول وهلة.

المعنى اللغوي للفطرة

الفطرة فى اللغة بمعنى الخلقة(الفيومى ، ١٩٢٩ م ، ج ٢ ، ص ٢١٨) ورد عن ابن عباس أنه قال: إحترت في معنى (فاطر السماوات و الأرض) و لم أجد لها شاهداً من لغة العرب حتى مررت بأعرابيين يتصايحان على بئر كل يدعى أنها له فقال الأعرابى: (أنا فطرتها؛ أنا فطرتها) أى أنا إبتدأت حفرها(الخوري الشرتوني، لا تا ، ج ٢ ، ص ٩٣٣)

المعنى الإصطلاحي للفطرة

أحياناً تستخدم كلمة الفطرة في مباحث علم النفس و هي من المباحث العقلية و الفلسفية و بهذه الصورة يكون معناها: الخصوصيات التي ترافق وجود الإنسان كأن يقال مثلاً أن حب الجمال مسألة فطرية، أو أن الإنسان قد جبل باحثاً و محباً للاستطلاع، و بالطبع فإن المعنى هنا لا يخرج عن معناه اللغوي، و لا يحسب في خانة المعنى الإصطلاحي، و من هذا المنطق يكون معنى الفطرية مرادفاً للجبلية. و قد تسخدم بمعنى آخر في المباحث المنطقية بمعنى «البديهى» و ذلك أن أصول و مبادئ القياس تنقسم إلى ثمانية أقسام أحدهما: اليقينيات و التي بدورها تقسم إلى قسمين: يقينيات نظرية و يقينيات بديهية. و اليقينيات البديهية لها ستة أقسام أحدهما الفطريات. و النظريات طبقاً للتعريف هي القضايا التي يحتاج إلى العقل، لكي يصدق بها، إلى تصور الموضوع و المحمول بالإضافة إلى تصور الواسطة، إلا أن هذه الواسطة ليست بعيدة عن ذهن الإنسان بل موجودة في ذهنه و لا تحتاج إلى تأمل و فكر (المظفر، ١٣٧٧ ش ، ص٢٩٨).

ولتوضيح ذلك نقول: إن هناك بعض القضايا يمكن للعقل التصديق بها بمجرد تصور الموضوع و المحمول و لا تحتاج إلى شيء آخر مثل قضية استحالة اجتماع النقيضين، إلا أن الفطريات لا تشبه الأوليات التي يكفي الحكم بالنسبة بمجرد تصور الموضوع و المحمول، بل لا بد من تصور أمر آخر، غير أن هذا الآخر لا يحتاج إلى استدلال عقلي، بل هو حاضر في الذهن كالحكم بأن العدد «أربع» زوج، فالعقل هنا يتصور «الأربع» و يتصور الزوجية أيضاً، ثم يلتفت إلى أن «الأربع» تقبل الإنقسام إلى قسمين فإذا تصور كل ذلك، حينئذ يحكم بأن العدد أربع زوج.

وقد أطلق المطهري على الفطرة بالمعنى الثاني الفطرة الإدراكية أو العقلية أما المعنى الأول فسمّاها الفطرة الجبلّية (المطهري ،١٣٧٢ش، ج٣ ،ص ٦١٢)

مع توضيح هذين الإصطلاحين لهذه الكلمة لابد أن نعرف أولا ما هو المراد من الفطرة عند المعتقدين بفطرية الإعتقاد بالله تعالى؟ يظهر من كلام هؤلاء أن مرادهم هو أن الإعتقاد بالله فطري بكلا المعنيين أي الفطرية الإدراكية و الجبلّية و الدليل الذي استدلوا به على المعنى الأول هو أن جميع أفراد البشر يمكن أن يصلوا إلى مسألة وجود الله بسهولة في بداية البلوغ حتى بغير تعلم و حتى لو لم يكن لديهم عقول وقّادة (مصباح اليزدي، ١٣٦٨هـ.ش، ص ٢٩). و

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الشاهد على أن مسألة وجود الله بالمعنى الفطري الثاني أي العاطفي هو أننا نرى أن جميع البشر على طول التاريخ كانوا يبحثون عن الله و كانوا يعتقدون بالله خالق العالم و الكون و كان لديهم دين رغم الإختلافات العرقية و الجغرافية و الثقافية و .... (المصدر السابق، ص ٣٥).

المؤيدون لمسألة فطرية الإعتقاد بالله

هناك أدلة نقلية متعددة من القرآن الكريم و الروايات تدل على أن مسألة الإعتقاد بالله هي مسألة فطرية عند هؤلاء العلماء فقد أفرد الشيخ الصدوق فصلاً مستقلاً في أحد كتبه تحت عنوان «باب فطرة الله عز و جل الخلق على التوحيد» (الصدوق، لا تا، ص ٣٢٨) و كذلك صرح المرحوم الفيض الكاشاني بأن هذه القضية (التصديق بوجود الله تعالى) هي قضية فطرية ذاكراً بعض الآيات و الروايات التي تدل برأيه على هذه المسألة (الفيض الكاشاني، لا تا، ج ١ ، ص ٢٨). و لكثرة الأدلة النقلية و ما يخطر في الذهن من دلالة على هذا الأمر في بادئ الرأي فمن الطبيعي شيوع و اعتبار مسألة الإعتقاد بالله مسألة فطرية عند المتكلمين خصوصاً إذا قال بهذا الأمر بعض المتكلمين المشهورين مثل سعد الدين التفتازاني عند بحث الأدلة النقلية. فعندما تعرض للآية: «و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله» قال: إن هذه المسألة (الإعتقاد بالله) مشهورة و معترف بها عند الجميع سواء عند المؤمنين بالنبوة أم لا بحسب الفطرة أو لسهولة الإستدلال. (التفتازاني ،١٤٠٩ ق، ج٤ ،ص٢٤). و سوف نشاهد أيضا إذا ما رجعنا إلى التفاسير المتعددة أن الكثير من المتكلمين و علماء الإسلام قد صرحوا بفطرية الإعتقاد بالله طبقاً لهذه الآية و هي الآية الخامسة و العشرين من سورة لقمان. و من بين المفسرين المعاصرين يمكن الرجوع إلى تفسير الميزان (الطباطبائي، ١٣٧٢ ش، ج ١٦، ص ٢٤٣). يقول المطهري في هذا الباب: " لا شك أن قضية الفطرة قد طرحت في الإسلام بشدة. وغاية ما هنالك أن العلماء يختلفون في استنباطهم حول مسألة التعبير عن الفطرة، إلا أن الحديث عن الفطرة جاء بأسماء مختلفة: فطرة الدين، أو فطرة الإسلام، أو فطرة التوحيد في طبيعة البشر و لا يوجد أي خلاف بين الشيعة و السنة في هذه المسألة " (المطهري، ١٣٧٢ ش، ج ٣، ص ٦٠٢). إن مسألة فطرية الإعتقاد بالله في الوقت الحاضر تعتبر مسألة مفروغ منها و مشهورة في أغلب الكتب الإعتقادية و الكلامية و سوف نشير إلى بعض هذه الكتب في ثنايا البحث.

عدم فطرية الإعتقاد بالله بالمعنى الجبلّي

تبين مما سبق في المعنى الإصطلاحي أن الفطرة تعني أحياناً بعض الخصوصيات الضاربة في طبيعة الإنسان و أن البشر قد خلقوا و هم متصفون بتلك الخصوصيات.

مع الأخذ بعين الإعتبار هذا الرأي، فهل الإعتقاد بالذات المقدسة لها جذور في طبيعة الإنسان؟

ذكرت للأمور الفطرية بعض الخصوصيات و هي:

١ . الأمور الفطرية موجودة في جميع أفراد البشر إلا أنها تتفاوت من حيث الشدة و الضعف. (مصباح اليزدي، ١٣٨٠ ش، ج١، صص٤٤ ، ٤٥).

٢ . إنها موجودة على طول امتداد التاريخ لا في عصر دون آخر.(المصدر السابق).

٣ . بما أنها مغروسة في الطبيعة البشرية فهي ليست بحاجة إلى تعليم و تعلم (المصدر السابق).

وهناك من أضاف خصوصيتين، وهما:

٤ . الأمور الفطرية خارجة عن حتمية العوامل الإقتصادية و الجغرافية و السياسية (السبحاني، ١٣٧٩ ش، ص٤٦).

٥ . من الممكن أن يتباطأ نموها بسبب الإعلام المضاد إلا أنها لا تزول بصورة تامة(المصدر السابق).

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

بعد بيان المعايير المذكورة لفطرية أمر من الأمور ، نتناول الآن مسألة الإعتقاد بالله تعالى في البحوث التالية:

طبقاً للمعيار الأول إذا كانت مسألة الإعتقاد بالله مسألة فطرية فلا بد أن تكون عند جميع البشر مع أننا نشاهد أن الكثير من الناس جاهلون بهذه المسألة، و أن قضية الإعتقاد لم تثبت لديهم، و عدم الثبوت هذا يمكن تصوره بنحوين، الأول: أنهم منذ البداية لم يدركوا هذه المسألة و لم يتوصلوا إلى الحقيقة، أو أنهم كانوا معتقدين ثم طرأت عليهم بعض الإشكالات و الشبهات فلم يستطيعوا الإجابة عنها فأنكروا هذه القضية. و هذه المسألة واضحة و لها مصاديق كثيرة فكم شاهدنا من أشخاص لم يصلوا إلى حقيقة وجود الله سبحانه و تعالى بصورة يقينية.

وهنا يمكن أن يدعي أحد فيقول أن مسألة فطرية الإعتقاد بالله موجودة بالقوة لا بالفعل و لذلك نشاهد بعض الأفراد الملحدين و المنكرين لله. و في الجواب ينبغي أن نقول: إن هذا التعبير هو من التعابير المبهمة غير الواضحة لأننا عندما نقول أن قضية الإعتقاد بالله مسألة فطرية بالقوة فهذا يعني أن الإنسان خلق بحيث يتمكن من الإعتقاد بالله عن طريق البرهان و الإستدلال و في هذه الحالة فإن القول بفطرية الإعتقاد بالله لا خصوصية له؛ لإن البشر قد خلقوا بحيث يستطيعوا الإعتقاد بأي حقيقة إذا ما توفرت الأدلة الكافية عليها. و ثانياً، لا نرى مثل هذا التمييز و التفصيل في أمور أخرى لها حيثية فطرية كحب الجمال أو حب الإستطلاع، بل أن هذه المسألة تطرح في قضية الإعتقاد بالله فقط لرفع الإشكالات. و ثالثاً، إن أغلب أدلة القائلين بهذه المسألة هي أدلة نقلية و التي لا يوجد مثل هذا التفصيل فيها، ثم إن القول بفطرية الإعتقاد بالله بالقوة لا بالفعل لا ينسجم مع ظواهر الأدلة النقلية التي تمسكوا بها.

أما المعيار الثاني و هو وجود الأمور الفطرية في جميع فترات التاريخ، فهو أمر يشهد على عدم صحته التاريخ أيضاً، فهل الذين أنكروا وجود الله على طول التاريخ كانوا قلّة؟ ألم ينكر الشيوعيون وجود الله في عصرنا مع أنهم يشكلون قسماً كبيراً من عدد سكان العالم؟

أما المعيار الثالث و هو عدم الحاجة إلى التعليم و التعلم فنقول: هذه الكتب الفلسفية و الكلامية تتضمن براهين مختلفة ، فقد حاول الفلاسفة و المتكلمون الاستدلال على هذه المسألة بمنتهى الدقة بحيث يحتاج فهم بعض الأدلة إلى جهد و وقت كبيرين فإذا كانت الفطرية بمعنى الإستغناء عن التعليم و التعلم فهذا يعني أن جميع تلك الجهود المبذولة هي جهود عديمة الفائدة؛ لإن فائدة الإستدلال و البرهان هو إثبات أمر مجهول بطريقة يقينية و قطعية فإذا كانت مسألة الإعتقاد بالله مماثلة لمسألة حب الجمال المغروسة في طبيعة جميع البشر فما معنى طرح المباحث العقلية المختلفة؟

سوف يتبين في تتمة هذه المقالة أن مسألة الإعتقاد بالله تعالى تحتاج إلى فكر و استدلال في مرحلتين، و لا يحصل الإعتقاد بدون استدلال و تفكير في هاتين المرحلتين.

أما بالنسبة إلى المعيار الرابع فلابد من القول أن هذا الأمر الحتمي و اللازم أعم ، لأن الأمور النظرية التي يصل إليها الإنسان بالإستدلال و البرهان خارجة عن العناصر الثلاثة المذكورة أيضاً، و لا يختص هذا الامر بالأمور الفطرية.

والمعيار الأخير الذي يقول بامكانية ضعف الأمور الفطرية و عدم زوالها فيمكن أن يترتب عليه أيضاً بأن الكثير من الناس ربما قضوا أعمارهم و هم مؤمنون معتقدون بالله تعالى و بعد تعرضهم لبعض الشبهات التي لا يستطيعون الإجابة عنها ربما تراجعوا عن هذا الإعتقاد، ثانياً: ألم تبحث الكثير من الفرق و المذاهب الإسلامية مسألة الإرتداد، فإذا كانت قضية الإعتقاد بالله ليست قابلة للزوال فلا يبقى مجال

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

للحديث عن مسألة الإرتداد التي يعتبر إنكار الذات المقدسة من أهم مصاديقها.

في الحقيقة إن المسألة التي لا يمكن إنكارها هي فطرية البحث عن الحقيقة في طبيعة الإنسان فتجده يبحث عن أهم الحقائق و هو أصل وجود مبدأ للوجود و هو المبدأ الذي لا يمكن تصور عدم وجوده في الماضي و لا في المستقبل.

و من جهة أخرى بما أن الانبياء كانوا موجودين مع البشر فإن تعاليمهم لفتت أنظارهم إلى مسألة وجود الخالق. و في هذا السياق نرى كيف استدل ابراهيم(ع) على مسألة فناء و زوال الكواكب و تغيرها و تعارضها مع كونها إلهاً و رباً بالنسبة إلى الذين يعتقدون بهذا الإعتقاد، لأن من لوازم التغير و الزوال الإحتياج، مع أن الموجود الجدير بأن يكون مصداقاً لله لا بد أن يتصف بجميع الكمالات و لا يمكن تصور الحاجة في حقه، ثم إن تعاليم الأنبياء و ترغيب البشر على استعمال الفكر و العقل في هذه القضية أدت إلى فعالية هذه المسألة في جميع فترات التاريخ.

و من هذا المنطلق نجد أن هذه المسألة كانت مطروحة في جميع العصور التاريخية لا أنها مغروسة في طبيعة البشر، و إلا فما معنى هذا الجدال و النزاع و طرق الإستدلال المختلفة، نعم الشيء الموجود في الطبيعة البشرية هي مسألة البحث و التحقيق، و بسبب ذلك نجد اهتمام الإنسان بمبدأ الوجود و سوف تستمر هذه الحالة ما دام يمتلك هذه الطبيعة.

عدم فطرية و بديهية الإعتقاد بالله

سبق أن ذكرنا في المعنى الإصطلاحي للفطرة، أن الفطرة بالمعنى الأول عبارة عن أمر مغروس في طبيعة الإنسان، و فطرية شيء يعني أن أمراً ما مغروساً في طبيعة الإنسان كحب الجمال مثلا، و الفطرة في باب مباحث علم النفس من الكتب الفلسفية هي بهذا المعنى. و قد تبين حتى الآن أن فطرية الإعتقاد بالله ليس بالمعنى المذكور.

وأما المعنى الثاني فلكي يكون شيئاً ما فطرياً يكفي تصور الموضوع و المحمول للحكم بالنسبة، و المراد من الفطرة في باب الادراكات عبارة عن هذا المعنى نفسه، فهل الإعتقاد بالله سبحانه و تعالى بهذا المعنى فطري أم لا؟

الفطرة بهذا المعنى مرادف للبديهي الذي يقع مقابل النظري و سوف نتطرق لهذه المسألة، حيث يتبين أن الفطرة ليست بهذا المعنى أيضاً، بل أن قضية (الله موجود) هي قضية نظرية و دليل نظرية هذه المسألة أنها لو كانت بديهية فبمجرد تصور الموضوع و المحمول، يكفي الحكم بالنسبة مع أن اقامة الأدلة المختلفة لإثبات وجود الله بذاته شاهد على أن القضية المذكورة من جملة الأمور النظرية؛ لأنها لو كانت بديهية فإن كل من يلتفت إلى استحالة اجتماع النقيضين بعد تصور الموضوع و المحمول فسوف يصدق مباشرة بوجود الله تعالى و لا يحتاج إلى دليل و برهان، فعلى سبيل المثال هل يمكن التمسك بدليل يثبت قانون العلية؟ و أن كل علة لا بد لها من معلول؟ مع أن هناك عشرات الأدلة التي تثبت وجود الله تعالى، و لذلك لا بد من التسليم بأن هذه القضية فطرية و ليست بديهية.

والدليل الآخر الذي يمكن التمسك به لإثبات نظرية هذا الإعتقاد هو أن تصور الله بذاته أو المفهوم التصوري لله هو أمر نظري غير بديهي و مع ثبوت هذا التصور يثبت أن التصديق بوجود الله سبحانه و تعالى نظري أيضاً.

رد فطرية الإعتقاد بالله بالمعنى الإدراكي

يدعي أصحاب هذا الرأي أن هذه المسألة فطرية بمعنى العلم الحصولي و الحضوري أيضا و سوف نتطرق إلى نقد هذه النظرية بعد توضيح قصير لكلا الإصطلاحين السابقين.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المقصود بالعلم الحصولي هو أننا نحتاج إلى واسطة لكي نثبت المحمول للموضوع إلا أن هذه الواسطة حاضرة في الذهن لا تحتاج إلى كشف بل إنها بديهية و مسلمة. (مصباح اليزدي، ١٣٦٨ش، ص ٢٩). و في نقد هذا الرأي لابد من القول أن كل شخص يرى أن قضية : الله موجود يمكن اكتشافها بالرجوع إلى الوجدان إلا أنها تحتاج إلى واسطة و هذه الواسطة ليست بديهية حاضرة لدى الذهن، بل تحتاج إلى تأملات جدية. تبدأ هذه التأملات من التصور الصحيح لمفهوم الله إضافة إلى الإلتفات إلى الكثير من القضايا النظرية الأخرى. إن و جود الشبهات و الإشكالات المختلفة في هذه المسألة شاهد على هذا المدعى، فإذا كانت هذه القضية بديهية بالمعنى المتقدم فلماذا تتعرض لجميع تلك الإشكالات. و من هنا فان هذه القضية لابد أن تكون من سنخ القضايا النظرية لا الفطرية. و أما القول أن المعرفة بالله فطرية بمعنى العلم الحضوري فالمقصود به أن معرفتنا بالله ليست غيبا، بل معرفة ذاتية فنحن لا نعرف الله باعتباره عنواناً كلياً، بل نعرفه عن طريق العلاقة القلبية.

اضافة إلى ذلك أن هذه العلاقة موجودة في الجميع غاية ما هنالك أننا غير ملتفتين لها. بل غالباً ما نلتفت إلى الأشياء المادية و إلى خارج ذاتنا بحيث نغفل عن العلاقة القلبية. و في نقد هذا الرأي لابد من القول أنه حدث خلط بين المعرفة الشهودية و المعرفة الحضورية فالمعرفة الشهودية هي من سنخ المعرفة الحضورية إلا أنها لا تكتسب عن طريق التعلم. أما المعرفة الحضورية فمن الضروري الإتحاد بين العالم و المعلوم و إلا لا تكون المعرفة من سنخ المعرفة الحضورية و في سر عدم حصول الخطأ في المعرفة الحضورية قالوا: فإذا أدرك شئ ما أو شخص مع وجود عينه و بدون أي واسطة لدى المدرِك حاضراً كان أو عن طريق الوحدة أو الإتحاد حينئذ لايمكن السؤال هل أن العلم يطابق المعلوم أم لا؟ لأنه في تلك الحالة يكون العلم عين المعلوم (مصباح اليزدي، ١٣٦٨ش، ج ٣، ص ١٥٦) و بهذا البيان عندما ندعي أن لدينا علم حضوري بالله تعالى لا بد من القبول بالإتحاد معه كالمعتقدين بوحدة الوجود و لكن إضافة إلى الأدلة التي يمكن طرحها و مناقشتها فإننا بالبداهة نعلم أن تغاير وجود المخلوق عن وجود الخالق مسألة لا يمكن إنكارها، و من هنا نكتشف أن المعرفة الحضورية بالنسبة لله تعالى ليست فطرية فقط، بل محالة و غير ممكنة.

المفهوم التصوري لله مفهوم نظري

ينقسم التصوّر كالتصديق إلى قسمين: نظري و بديهي، و التصور النظري لا يكون معلوماً للذهن لأول وهلة و لكنه يحتاج إلى معرف. و في مقابل التصورات النظرية هناك التصورات البديهية، و هي التصورات التي تنقدح في ذهن الشخص دون حاجة إلى معرّف مثل مفهوم الوجود (السبزواري، ١٤١٣ق، ج٢/١ ،ص ٦٠) و مثل مفهوم العلم (الجوادى الاملي، ١٣٧٠ش، ص ١٢٥)

أما التصديقات فهي تنقسم إلى قسمين أيضاً: نظرية و بديهية فالتصديق البديهي يكفي للحكم بالنسبة لتصور الموضوع و المحمول، أما إذا لم يكف و كان بحاجة إلى فكر و دقة ففي هذه الحالة سوف يكون تصديقنا نظرياً.

ومع وضوح هذه المسألة فإننا ندعي هنا أن تصورنا عن الله سبحانه هو من جملة التصورات النظرية و عندما يثبت أن تصور الله هو تصور نظري لا بديهي حينئذ ليس من المنطقي أن يكون التصديق بالله بديهياً مع أن المفهوم عن الله مفهوم نظري.

أما لماذا يكون تصور الله سبحانه و تعالى تصوراً نظرياً، نقول: إن مفهوم الله سبحانه و تعالى له تعاريف مختلفة قبل إثبات وجوده، و الإختلاف في المفهوم يكشف عن أن ذلك التصور ليس بديهياً عند الجميع كما أنه لا يوجد اختلاف في

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

مفهوم الوجود أو الموجود أو مفهوم العدم و هذا ما يؤكد بديهية تلك التصورات، و هذا الأمر لا يثبت في مفهوم الله سبحانه و تعالى؛ لأن هناك اختلافات كثيرة فيه و هو ما يكشف عن نظرية ذلك المفهوم، فعلى سبيل المثال مفهوم الله قبل إثبات وجوده عند ديكارت و اسبينوزا و لايبنتز هو (الكامل المطلق) كما صرح ديكارت بأن المراد من الله هو: جوهر، لا متناهي، سرمدي، لا متغير، العالم المطلق، القادر المطلق... (الديكارت ، ١٣٦١ش، ص٧٦)

إن التعريف المذكور من قبل الديكارت: الوجود المطلق و الوجود القائم بالذات، هو الذي يشخص مفهوم الله قبل إثبات الوجود له، أي أن الله ذات قد شكل حقيقته الوجود، و من هنا فإن قضية (الله موجود) هي قضية تحليلية طبقاً لاصطلاح كانت. أما إذا عرفنا مفهوم الله سبحانه قبل إثبات وجوده بأنه عبارة عن مجمع الكمالات و المقصود بها الكمال الصفاتي ففي هذه الحالة فإن القضية المذكورة أي (الله موجود) سوف تكون قضية تركيبية و بما أن (كانت) يعتقد أن وجود الذات لا يتشكل من أي شيء (كانت، ١٣٦٢ش، ص ٦٦٣١) بل إنه يمثل دور الرابط فقط، و لذلك فان قضية الله عنده هي قضية تركيبية. و طبقاً للتعريف الذي عرضه كانت و مع الأخذ بعين الإعتبار أن قضية وجود الله هي قضية تركيبية و ليست تحليلية، لهذا إعتقد أنه من المحال إثبات وجود الله بسبب التعارض (بل فولكيه، ١٣٧٠ ش، ص ٢٣٤) غير أننا إذا عرفنا الله سبحانه و تعالى بحيث تكون القضية المذكورة قضية تحليلية بحيث نعتبر أن مفهوم الله سبحانه قبل إثبات وجوده هو الوجود المطلق القائم بالذات، أي أنه وجود مستقل غير متعلق بشيء، عندئذ بما أن الأصل المشترك لجميع الأحكام التحليلية هو أصل إمتناع التناقض (كانت، ١٣٧٠ ش، ص ٩٧) لذلك فإن إثبات الوجود لله سوف يكون ممكناً و منطقياً، ونفيه محال بسبب استحالة اجتماع النقيضين.

وهنا نلاحظ كيف أن هناك اختلاف في وجهات النظر في تعريف مفهوم الله بحيث أن البعض ذهب إلى أنَّ معنى مفهوم الله قبل إثبات الوجود هو الوجود المطلق و هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك فقال أن تعاريف الله سبحانه و تعالى قبل الإثبات لا تتسم بانسجام منطقي.

ومن هنا يجب أن لا ننشغل بمسألة إثبات وجوده، لأن التعاريف إذا لم تكن منسجمة و كانت متناقضة فلا يمكن أن نحصل على تعاريف واضحة و منسجمة قبل إثبات وجوده، و لهذا فإن البحث عن أدلة وجود الله و تقييمها و إبداء الرأي حول صحة و سقم أدلة وبراهين وجود الله سبحانه و تعالى هو عمل لا يؤدي إلى فائدة و "إذا توصلنا في نهاية البحث أن فلاناً في تصوره لله قد وقع في تناقض داخلي لا يمكن الفرار منه فليس من الضروري في تلك الحالة أن نخطو خطوات أخرى فإلاله الذي يعجز عن بيان حقيقته إلا في أشكال متناقضة لا يمكن تصور امكان الوجود فيه، إن فرض وجود مثل هذا إلاله سوف يكون بلا معنى» (بترسون و آخرون، ١٣٧٦ش، ص ٩٩).

و من هنا يتبين، طبقاً لهذه الرؤية، أن تصور الله مسألة ليست غير بديهية فحسب، بل إن التعاريف المختلفة لله متناقضة أيضاً و لا نجد تعاريف منسجمة حول مفهوم الله سبحانه. طبقاً لهذه الرؤية فالوصول إلى تعريف منطقي و منسجم عن الله غير ممكن، و من هنا يكون مفهوم الله من خلال هذه النظرية ليس بديهياً بل غير ممكن أيضاً و سوف تكون النتيجة المنطقية أن إثبات وجود الله غير ممكن طبقاً لهذا الرأي.

أقام «آنسلم»، المتكلم المسيحي في القرون الوسطى، و لأول مرة برهاناً وجودياً لإثبات وجود الله (جان هيك، لا تا،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

ج١، ص٤٢) و قد بُيّن البرهان بنحوين الفرق بينهما هو في التفاوت بين المفهوم التصوري لله سبحانه، ففي أحد التصورين ذهب إلى أن الله هو الكمال المطلق و على هذا الأساس أقام البرهان (جان هيك، المصدر السابق، ج١، ص٤٥).

و في الثاني ذهب إلى أن الله هو الموجود القائم بالذات و طبقاً لهذا الإستدلال إستدل على وجوده (ال گيسلر، ١٣٧٥ ش ،ج١، ص١٨٨)

يلاحظ هنا بأن كل تصور عن الله يقتضي نحواً من البرهان و الإستدلال على وجوده. كما عارض (كونيلون) المعاصر له (آنسلم) عندما قال أن مفهوم الأكمل لا يتلازم دائماً مع الوجود الخارجي، و هذه المعارضة ترد على التقرير الأول للبرهان الوجودي لا على التقرير الثاني. و كذلك فإن معارضة (كانت) لبرهان (آنسلم) الوجودي يرد على التقرير الأول أيضاً؛ لإن مفهوم الله سبحانه و تعالى عبارة عن الوجود المطلق لا أن صفاته و كمالاته مطلقة ففي هذه الحالة نحصل على المحمول من تحليل الموضوع و لذلك فإن سلبه يستوجب التناقض المحال.

و من هنا نلاحظ أن تصور الله قبل إثبات وجوده قد ذكر (أولاً) بصور مختلفة و هو أمر مختلف عن مفهوم الوجود الذي له معنى واحد عند الجميع، و ثانياً: إن كل تصور عن الله يقبل نحواً من الإستدلال الخاص لإثبات وجوده و هذه المسألة تؤكد لزوم الإدراك الصحيح لمفهوم الله قبل إثباته فإذا لم يتم هذا العمل بصورة صحيحة و دقيقة ربما لا يصبح البرهان المقام على وجود الله صحيحاً أيضاً، فكيف نعرّف مفهوم الله حتى يكون في النتيجة برهاننا و استدلالنا على وجوده صحيحاً و هنا نحتاج إلى إعمال الفكر و الدقة في النظر، و إذا كان التصور يحتاج إلى دقة و فكر فلا يكون بديهياً بل لا بد أن يكون بالتأكيد نظرياً. و الشاهد الآخر الذي يثبت أن تصور الله سبحانه و تعالى ليس من التصورات البديهية، بل هو من التصورات النظرية، أن بعض الأشخاص و أصحاب الرأي مثل (برتراند راسل)، الفيلسوف المعروف في القرن التاسع عشر، و بسبب عدم قدرته على إدراك المفهوم الصحيح وقع في أخطاء كبيرة، لإنه قال أن برهان علة العلل لا يمكن أن يثبت وجود الله؛ لأن السؤال الأساسي سوف يبقى دون جواب و هو: من الذي خلق الله؟ (المطهري، ١٣٧٣ ش، ج١، ص٥١١)

وهذا الخطأ ناشئ من أنه لو كان لديه تصور صحيح عن الله قبل إثبات وجوده فلن يصل إلى هذا الطريق المسدود؛ لإن مفهوم الله قبل إثبات وجوده يعني مفهوم الوجود القائم بالذات دون قيد أو تعليل فلا معنى لإثبات وجوده الخارجي عن طريق برهان علة العلل ثم نسأل من الذي خلقه؟ فإذا كان مفهوم الله سبحانه و تعالى هو موجود قائم بالذات حينئذ لا يحتاج إلى علة لأن ذلك في الحقيقة عين التناقض، فقد ثبت بالبرهان وجود الله، الذي يعني وجود مستقل غير مرتبط بشيء في تحقق وجوده و في الوقت نفسه فإن السؤال عن علة وجود الله يعني أنه متعلق بشيء غير مستقل بذاته و هو عين التناقض.

مع الأخذ بعين الإعتبار مفهوم الله قبل وجوده، فهذه الأخطاء و الإشتباهات تكشف عن دقة مفهوم الله و تثبت أن هذه المفاهيم ليست من المفاهيم البديهية و إلا لما أدّت إلى وقوع أخطاء جسيمة.

وأما الدليل الثالث لإثبات نظرية مفهوم الله سبحانه و تعالى هو عبارة عن وقوع اشتباهات مختلفة من قبل بعض العلماء، فإذا ما عُرّف مفهوم ما من قبل بعض المفكرين تعريفاً خاطئاً، فهذا يعني أن تصور هذا المفهوم سوف يكون تصوراً نظرياً إضافة إلى أن تفكيك مفهوم الله قبل إثبات وجوده عن مفهوم الله بعد إثبات وجوده بنفسه كاشف عن هذا الأمر و هو دليل رابع على أن هذا التصور تصور نظري.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

ثم إن الكثير من الأفراد قد وقعوا في بعض الأخطاء فخلطوا بين المرحلتين فلم يكن لديهم قدرة على التمييز بين تعريف الله قبل إثبات الوجود عن مرحلة ما بعد الإثبات، و توضيح هذه المسألة له مجال آخر.

إن الفصل و التمييز بين مفهوم الله قبل إثبات وجوده عن مفهوم الله بعد إثبات وجوده و كيفية القيام بذلك بذاته يحتاج إلى بحث و تأمل جدي و هذا أيضاً يدل على أن هذا المفهوم نظري لا بديهي، فهناك الكثير ممن ليس لديهم تصور صحيح عن مفهوم الله بعد إثبات وجوده، و لهذا السبب ينسبون له بعض صفات النقص الأمر الذي يكشف عن نظرية مفهوم و تصور الله سبحانه و تعالى.

فإذا أخذنا بعين الإعتبار نظرية مفهوم الله الثابت بعدة أدلة فهل التصديق بوجوده أمر بديهي؟ و هل من الممكن أن يحكم العقل بديهياً بوجود الله ؟وهل العقل الجمعي يحكم ببديهية هذا الأمر مع أن الكثير من العقلاء ليس لديهم تصور عن الله سبحانه و تعالى أو أن تصورهم خاطيء؟ و هل التصديق بالوجود دون تصور الموضوع . الذي هو عبارة عن مفهوم الله . ممكن؟

التصديق بالوجود متفرع عن تصور الموضوع و عندما نثبت أن تصور الله نظري سوف يتفرع عنه نظرية التصديق بوجوده أيضاً، و بعبارة أخرى عندما تكون القضية القائلة: (الله موجود) قضية بديهية، أي يكون موضوعها و محمولها أمراً بديهياً، فإذا لم تكن بديهية و لا يمكن تصورها للجميع في الوهلة الأولى عندئذ لا يمكن الحمل بإن العقل إذا لم يتصور الموضوع لا ينسب المحمول إليه. فإذا كان العقل عاجزاً عن تصور مفهوم الله دون إعمال الفكر فمن المؤكد أنه سوف يتوقف عن التصديق بوجوده أيضاً و لا ينسب الوجود الخارجي إلى مفهوم الله.

الدليل النقضي لإثبات فطرية الإعتقاد بالله و رده

لإثبات فطرية الإعتقاد بالله تمسك بعض العلماء بأدلة نقضية من الفقه بأن هذه المسألة إذا لم تكن فطرية فسوف يحدث تناقض في الكثير من الفتاوى، من جملتها أنه إذا بلغ شخص ما سن التكليف فيجب عليه أداء العبادات المكلف بها يومياً كالصلاة اليومية مثلاً، مع أنه لا يستطيع التحقيق و البحث و إثبات وجود الله في تلك الفترة العمرية المبكرة، فإذا كانت هذه المسألة (إثبات وجود الله) بحاجة إلى استدلال و لم تكن فطرية فيجب أن لا يكون واجباً على ذلك الشخص القيام بفروع الدين قبل إثبات وجود الله و أن وجوب تحصيل الإعتقاد عن طريق الإستدلال في زمان قصير تكليف بغير المقدور و خارج عن القدرة، و لا يصدر مثل هذا الحكم من حكيم لأنه لغو.

و النقض الآخر إذا كانت العلوم الإستدلالية كالمنطق و الفلسفة تؤدي إلى زيادة الإيمان، فمن الواجب القيام بالعبادات و التكاليف من جديد، أي قضاء العبادات و هذا يخالف اجماع الفقهاء، أو إذا إرتد شخص ما بعد بلوغه بفترة قصيرة فيحكم بعدم ارتداده طبقاً لعدم ثبوت الفطرية و لزوم الإستدلال و البرهان (الحر العاملي نقلاً عن الشهيد الثاني، (د.ت)، ج١، ص٥٥).

و في الجواب لا بد من القول: إذا كان الشخص المذكور جاهلاً فعلاً و لم يثبت لديه دليل على وجود الله حتى الآن فلا يكلف بالتكاليف، لإن التكاليف لا تكون في عهدته إلا إذا ثبتت لديه المباني الإعتقادية، فعند ذلك يكن القول أن الشخص المذكور جاهلاً و التكاليف لا تنجز في حق الجاهل ما دام جاهلاً (بالطبع في الجهل القصوري لا التقصيري)؛ لأن العلم شرط في إنجاز التكاليف عند جميع الفقهاء و الأصوليين .

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

أما مسألة ازدياد الإعتقاد عن طريق تحصيل العلوم الإستدلالية و أنّ وجوب إعادة العبادات السابقة خلاف الإجماع فليس صحيحاً أيضاً؛ لإنه ربما ذهب المجمعون إلى كفاية الإطمئنان في الأمور الإعتقادية، و طبقاً لإستدلالهم بالأدلة الشرعية ربما يكون من اللازم عندهم الوصول إلى الإطمئنان و هذا الإطمئنان يكفي من أي طريق يحصل فإذا وصل شخص ما إلى الإطمئنان في الأمور الإعتقادية عن طريق التقليد أو التربية العائلية و أمثال ذلك، فإن ذلك يكفي و لهذا السبب فإن الفقهاء لا يعتبرون إعادة العبادة أمراً لازماً، و هذه المسألة لا تدل بصورة مؤكدة أن مسألة الإعتقاد بالله مسألة فطرية، إضافة إلى ذلك أن طرح هذه المسألة بحد ذاته اعتراف ضمني بعدم فطرية الإعتقاد بالله؛ لأنه و طبقاً لقولهم فإنه و مع دراسة العلوم الإستدلالية كالفلسفة و المنطق سوف يزيد الإعتقاد و الإيمان فهذا يعني أن الفطرة لا تعطي الإنسان إيماناً و اعتقاداً كاملاً .

أما قولهم أن المرتد يحكم بارتداده بعد زمن قصير من بلوغه فلا بد من القول أن هذا الحكم يخالف الموازين الشرعية قطعاً لأن الجهل عند الله من الأعذار و كذلك فإن العقل يحكم بصورة قطعية أن العقاب بدون بيان قبيح، و لذلك فإن كل جزاء مشروط بالبيان فإذا كان المكلف جاهلاً فلا يجازى لا في الدنيا و لا في الآخرة، و هذه المسألة لا شك فيها، و لذلك فالذي يبلغ تواً و لم تثبت لديه الأمور الإعتقادية فارتد عنها لا يستحق الجزاء، لإن العقاب سوف يكون بدون بيان و هو أمر مذموم و قبيح عند جميع العقلاء و الشارع الحكيم لا يأمر بالقبيح إضافة إلى ذلك أن الأدلة الشرعية الواردة أكدت على أن العقاب منوط بالبيان و العلم (الواعظ الحسيني، ١٤١٧ق، ج٢، ص٢٥٥ . ٢٩٧) و (الكاظمي الخراساني، ١٤٥٦ق، ج٣ ، ص٣٣١ . ٣٧١).

خطأ التمسك ببرهان الفطرة

سعى بعض العلماء للإستدلال على وجود الله عن طريق الفطرة لكي يلبسوا هذه المسألة لباساً برهانياً و استدلالياً، و من خلال هذه الرؤية فإن الفطرة بنفسها تعتبر دليلاً إلى جانب بقية الأدلة العقلية التي تثبت وجود الله عن طريق الفكر و التأمل العقلي لا أنها قسيم الإستدلال بل هي من أقسامه.

و خلاصة هذه النظرية أن بعض المفاهيم هي مفاهيم مترابطة لا يمكن تصور إحداها دون تصور الآخر لأن هناك تلازم بينهما كالفوق و التحت أو الأب و الإبن، فلا يمكن تصور مفهوم ال(الفوق) دون تصور مفهوم ال(تحت) و لا يمكن تصور مفهوم (الأب) دون تصور مفهوم (الإبن) و من هذا القبيل مفهوم (الأمل) و (المحبة) فلا يمكن أن يكون هناك (أمل) دون أن يكون هناك إنسان أو شخص لديه ذلك الأمل، و الحال نفسه بالنسبة للمحبة فلا و جود لها دون وجود المحبوب فيوجد هناك تلازم بين الإثنين.

و بعد أن تبيّن لنا أن مفهوم الأمل و المحبة من المفاهيم المترابطة نقول أن كل انسان عندما تنسد أمامه جميع الطرق فأن نفسه ترنو و تتمسك بالقادر المطلق، و الأمر نفسه بالنسبة إلى المحبة و العشق للكامل المطلق، مع الأخذ بعين الإعتبار المعنى التضايفي السابق ذكره يثبت الموجود القادر المطلق و الذي هو الله سبحانه و تعالى (الجوادي الآملي، (د.ت)، ص٢٨١ . ٢٩٠).

ويرد على هذا الإستدلال ثلاثة اشكالات هي:

أولاً: حدث خلط في هذه النظرية بين المفاهيم التي لها ارتباط من جهة المفهوم مع المفاهيم التي لها تعلق من جهة الوجود فمفهوم مثل ال (فوق) و ال(تحت) هي مفاهيم متعلقة و مرتبطة من جهة المفهوم، أي لا يمكن تصور

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

أحداهما دون تصور الأخرى فلا يمكن تصور مفهوم الـ(فوق) دون تصور مفهوم الـ(تحت) أما مفاهيم مثل: المحبة، العلم، الأمل و أمثال ذلك فهي مفاهيم تحتاج لتحقق وجودها إلى متعلق، أي أنها في مقام التصور يمكن تصورها بصورة مستقلة دون ملاحظة مفهوم آخر كالمحبة و العلم و الأمل فهي ليست كالمفاهيم الأولى التي تحتاج إلى متعلق، بل إن تصورها لا يحتاج إلى شيء آخر، و لكن في مجال تحققها خارجاً تحتاج إلى متعلق بمعنى أنه لا يوجد في الخارج شخص متصف بالعالمية و المحبوبية دون أن يكون هناك محبوب أو معلوم، و لذلك تحتاج هذه المجموعة إلى متعلق في مقام الوجود لا في مقام التصور. و من هنا فإن هذه المفاهيم لا بد من تقسيمها إلى قسمين: إما أن تكون مستقلة في مقام التصور، أو أن تكون مرتبطة و متعلقة، و المفاهيم المستقلة في مقام التصور تقسم أيضاً في مقام الوجود إلى مستقلة و تابعة[١]. فالمحبة و الأمل هي من أجزاء المفاهيم المستقلة في مقام التصور و من هنا فهي قسيمة لبعض المفاهيم من قبيل الـ(فوق) و الـ(تحت) أما في مقام الوجود فهي تابعة، و لذلك يجب أن لا نتوهم أن مفهوم المحبة و الأمل تشبه مفهوم الـ(فوق) و الـ(تحت) بل أن كليهما قسيم للآخر. و في توضيح ذلك نقول إن مفهوم الـ(فوق) و (تحت) رغم أنها تأخذ أوصاف خارجية إلا أنها مفاهيم المترابطة أي لا يمكن أن نتصور أحدهما دون تصور الآخر في مقام التصور، مع أنه يمكن تصور المحبة دون تصور المحبوب أي مفهوم المحبة نفسه يمكن تصوره دون تصور المحبوب و لكن الشيء الذي لا يمكن تصوره هو وجود محب في الوجود الخارجي دون وجود محبوب. فهل يعقل أن يقول شخص ما أنا أحب ولكن عندما يسأل عمن يحب أو أي شيء يحب؟ يقول لا يوجد محبوب في الوجود الخارجي و لكن أنا أحب فقط. و من هنا فإن المحبة في مرحلة التصور لا تحتاج إلى محبوب فيمكن تصور هذا المحبوب بدون تصور الآخر أما في مقام التحقق الخارجي و اتصاف شخص ما في الوجود الخارجي بالمحبة لا بد من وجود المحبوب حتما.

ثانياً: حتى لو كان مفهوم المحبة و الأمل تابعان و متعلقان في مقام الوجود و عندما يتصف أحد الأشخاص في الخارج بصفة المحبة و العشق و الأمل لا بد أن يكون هناك محبوبٌ و مأمول الا أنه لا يلزم أن يكون للمتعلق وجود خارجي، صحيح أن بين المحبوبية و وجود المحبوب تلازم و لكن لا يوجد تلازم بين المحبة و الوجود الخارجي، بل قد يحدث في كثير من الاحيان أن يحب الإنسان أشياء كثيرة ليس لديها وجود خارجي أو يرجو و يأمل أشياء سرابية. و قد حاول البعض في مقام رفع الإشكال إثبات هذا الشيء فقال: إن واقعية الأمل و الرجاء و واقعية المحبة لا تصورهما، هما اللذان يستلزمان وجود الله (الجوادي الآملي، السابق، ص٢٩٠) .

والخطأ هنا كما قلنا في القسمة أنه: أولاً: قد بيّنا أن الرجاء و الأمل أو المحبة لا تحتاج في مقام التصور إلى متعلق، بل في مقام الوجود أي أن الأمل و المحبة إذا أردنا تحقق وجود هما لا بد أن يكون لدينا مأمول و محبوب، و لكن الإشكال الذي يبقى دون حل هو أن واقع المحبة و الأمل لا يتلازم مع الوجود الخارجي للمأمول و المحبوب، يعني يمكن أن نتصور إنسان يحب شيئاً ليس لديه وجود خارجي، أو يأمل شيئاً لا واقع له، بل لا يكون له واقع و لذلك فإن متعلق المحبة و الأمل يمكن أن يكون أمراً ذهنياً لا خارجياً.

ثالثاً: قلنا أن الأمل و المحبة، تعنيان الأمل بقدرة عظمى لا يمكن أن تكون مغلوبة أو محبة محبوب كامل من كل حيثية، حيث يمكن أن نثبت وجود الله عن طريقها و هذه

١. لم أجد هذا التقسيم فى باب خاص، و لكنى استنتجته في مجموع أراء العلماء المختصين في هذا المجال.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المسألة ليست عامة عند جميع البشر، بل تحصل فقط لبعض الأشخاص أي لمن يثبت له الله سابقاً. أما الحديث الشريف الوارد عن الإمام الصادق(ع) عندما أثبت وجود الله لمن كان في سفينة تعرضت للغرق عند ذلك تعلقت نفس ذلك الإنسان بقادر مطلق يمكن أن ينجيه و هو الله سبحانه (الفيض الكاشاني، لاتا، ج١، ص٢٩) في تتمة البحث سوف يتبين أن هذا النوع من الإستدلال من قبل الإمام (ع) لا يتم إلا لمن ثبت لديه وجود الله في مرحلة سابقة ثم بعد ذلك غفل عنه.

فطرية الإعتقاد بالله في الأدلة النقلية

استدل البعض من الآيات و الروايات مسألة فطرية الإعتقاد بالله تعالى. و رعاية للإختصار سوف نكتفي بذكر بعض الآيات:

١: {فَأَقِمْ و جْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }(الروم،٣٠)

٢: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }(البلد،١٠)

٣: {وَنَفْسٍ و مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا و تَقْوَاهَا}(الشمس، ٧،٨)

أما الروايات التي استدل بها على هذه المسألة:

١: روي عن الإمام الصادق (ع) في جواب من سأله : المعرفة من صنع من هي ؟ قال : من صنع الله ليس للعباد فيها صنع (الحر العاملي، لا تا، ج١،ص٥٠)

٢: عن أبي عبد الله (ع) قال: إن الله إحتج على الناس بما آتاهم و عرفهم (نفس المصدر) .

٣: و عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز و جل {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ...} (التوبة، ١١٥) قال حتى يعرفهم ما يرضيه و ما يسخطه، و قال: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا و تَقْوَاهَا. قال: بين لها ما تأتي و ما تترك؛ و قال: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً و إِمَّا كَفُوراً} الإنسان(٣). قال : عرفناه إما آخذاً و إما تاركاً (نفس المصدر)

٤: عن أبي عبد الله {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}: في جواب من سأله: سألته عن قول الله عز و جل: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} قال: نجد الخير و الشر(نفس المصدر)

٥: قيل للإمام الصادق (ع): أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: لا. فقلت فهل كلفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان، لا يكلف الله العباد إلا وسعها. و لا يكلف نفسا إلا ما آتاها. قال: و سألته عن قوله: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ...} قال: حتى يعرفهم ما يرضيه و ما يسخطه (نفس المصدر)

فما هو المقصود من هذه الأدلة النقلية؟

في الجواب نقول: أن هذه الأدلة لا تعني الفطرية بهذا المعنى أي أن الله قد خلق الإنسان على هذه الصورة، و لا يمكن القول أن هذه المسألة بديهية واضحة لا تحتاج إلى استدلال و ذلك للأسباب التالية:

أولاً: ورد في الأخبار و الآيات القرآنية أيضاً الإستدلال على وجود الله إلى درجة أنه يمكن القول أن جميع الآيات المشتملة على آيات تكوينية إلهية هي ناظرة لمسألة إثبات وجود الله كما سلم بهذا الرأي بعض العلماء (الفخر الرازي نقلاً عن مصباح اليزدي، ١٣٧٨ش، ص٢٤)

أما شكل هذا الإستدلال فهو عن طريقة البرهان الآني، أي الوصول إلى العلة عن طريق المعلول إضافة إلى بعض الآيات الصريحة التي هي بصدد إثبات وجود الله نظير الآية: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) (الطور: ٣٥) و كيفية الإستدلال بالآية يقال لمنكري وجود الله: هل هم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الذين خلقوا أنفسهم و هذا أمر غير معقول، لأنهم إذا كانوا هم الذين قد خلقوا أنفسهم فهذا يعني أنهم قاموا بذلك مع أنهم لم يكونوا موجودين سابقاً، و عندما وجدوا ليس من المعقول أن يخلقوا أنفسهم في ظرف العدم، و عندما وجودوا أيضاً لا يمكن أن يخلقوا أنفسهم لأن ذلك تحصيل حاصل، الأمر الذي يرجع إلى التناقض.

أو نقول إن المنكرين يعتقدون أنهم جاؤوا إلى الوجود بدون خالق و هو أمر محال لأن ذلك يعني نفي احدى القضايا الفطرية و هو قانون العلية، إذن لابد أن نقبل بالشق الثالث و هو التسليم بوجود الخالق.

ثانياً: إن الآيات و الروايات تدل على معناها بنحو الظهور، لأن دلالة الألفاظ على المعاني يبتني على سيرة العقلاء المفيد للظن، و لا يمكن الوصول إلى اليقين بالفطرة و بداهة مسألة الإعتقاد بالله بدليل ظني، فلا يمكن أن نثبت أمراً واقعياً بالظن.

ثالثاً: جاء في الأخبار و الروايات الكثيرة أن هناك أمور فطرية أخرى و من المؤكد أنه لا يمكن القبول بفطرية تلك الأمور، بل و لا شك في نظرية هذه القضايا و الحاجة إلى الإستدلال فيها مثل مسألة التوحيد، فقد صرّحت روايات كثيرة على أن التوحيد هي قضية فطرية، و أن الأدلة النقلية التي تدل على فطرية هذه المسألة أكثر بكثير من الأدلة النقلية التي تدل على فطرية أصل وجود الله، بحيث أنه ورد في الجوامع الحديثية باب يطلق عليه أن التوحيد أمر فطري (الصدوق، ١٣٥٧ ش، ص، ٣٣١.٣٢٨) فهل يمكن القبول بأن مسألة التوحيد مسألة فطرية بمعنى أنها بديهية، أو أنها مغروسة في طبيعة الإنسان؟

هناك براهين كثيرة على إثبات هذا الأمر من خلال الآيات و الروايات و كذلك من قبل المتكلمين و جميعها تحكي أن هذه المسألة هي مسألة نظرية بحاجة إلى استدلال إضافة إلى ذلك أنه جاء في بعض الروايات توضيح المعنى التصوري للتوحيد (الصدوق، ١٣٦٢ش، ص٢) فإذا كانت هناك قضية معناها التصوري نظري و بحاجة إلى توضيح فمن المؤكد أن التصديق بها لا بد أن يكون نظرياً أيضاً، لأن العقل لا يحكم بقضية إلا عندما يدرك الموضوع و المحمول بصورة كاملة و عندما يستقر المفهوم في المحمول، أي أن الاحدية تحتاج إلى توضيح و تصور غير بديهي، عند ذلك فمن غير المعقول أن تكون القضية قد ركبت من ذلك المفهوم البديهي عند العقل.

و كذلك ورد في بعض الروايات أن مسألة النبوة و الإمامة من الأمور الفطرية (رباني الكلبايكاني، ١٣٧٨ ش، ص١٥٦) فهل يمكن القبول أن هذه الأمور هي أمور فطرية؟ و من خلال هذا السياق لابد من ملاحظة جميع الأدلة النقلية و الآيات التي تحثّ الإنسان على التفكر و التعقل في الآيات الإلهية فنعتبر أن فطرية الإعتقاد بالله في الأدلة الشرعية تعني أن الإنسان خلق بحيث أنه و من خلال وجود القوة العاقلة فيه و امكانية الإستدلال و الإستعانة بهذه النعمة يمكن أن يصل إلى وجود الله و صفاته. و عندما نقرأ في القرآن: {أفي الله شكّ، فاطر السماوات و الأرض} (ابراهيم: ١٠) ففي هذه الآية يمكن التوصل إلى أصل وجود الله سبحانه و تعالى عن طريق الدليل الآني و هو خلق السماوات و الأرض، أي أن من فكر بهذه البراهين و الآيات فعند ذلك لن يحصل لديه شك في وجود الله.

ومن هذا المنطلق فإذا ما طرحت مسألة وجود الله أو التوحيد، أو مسألة النبوة أو الإمامة باعتبارها مسألة فطرية فليس المقصود أن الإنسان قد خلق بهذه الصورة، أي بما أنه يتمتع بنعمة العقل فيمكن أن يستدل على هذه الأمور عن طريق هذه النعمة فنقول أن المسائل المذكورة هي من الفطريات، أو أنه إذا طرح عليه استدلال فإن العقل يتمكن

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

من الوصول إلى وجود الله سبحانه فيما إذا كان الإستدلال المذكور صحيحاً، و هذه القدرة توجد عند الإنسان بصورة فطرية و هي هبة إلهية، أما الموجودات التي تفتقر إلى نعمة العقل كالحيوانات، فليس لديها قدرة على إدراك و فهم مثل هذا النوع من المسائل.

ومن هنا فإن الجمع بين الأدلة النقلية لا يقتضي أن يكون معنى فطرية الإعتقاد بالله كما ذهب اليه مشهور المتكلمين و العلماء، بل المقصود مما قلناه سابقاً أن من الواجب أن لا ننسب موضوعاً إلى الشارع المقدس لدليل نقلي، بل لا بد من ملاحظة مجموع الأدلة، و ما قلناه يقتضي جمع كل الأدلة النقلية.

ومن هنا يعلم أنه إذا ما وردت رواية كالرواية الواردة عن الإمام الصادق (ع) في إثبات وجود الله لمن كان في السفينة و تعرض لحادث الغرق و انقطعت به الأسباب المادية فتعلق قلبه بمبدأ آخر و هو الله تعالى. فهنا بثبوت نظرية مسألة الإعتقاد بالله و هو الظاهر من الآيات التي استدل بها على إثبات الله، أو الأمر بالتفكر و التأمل الوارد في آيات و روايات كثيرة سوف يتضح أن هذا الاستدلال للإمام (ع) هو خاص بالشخص الذي ثبتت لديه هذه المسألة من قبل ثم أصابته الغفلة؛ أي أن الإمام بصدد أن يُلفت نظره لهذه المسألة.

النتيجة

إن قضية الإعتقاد بالله يجب أن لا تكون قضية فطرية بكلا المعنيين الذين ذكرناهما سابقاً، أي الجبلّية و الإدراكية، لإن التصديق بهما يحتاج إلى تعليم و دقة نظر. كذلك بالنسبة للمفهوم التصوري لله تعالى يجب أن لا يكون كذلك أيضاً لأنه بحاجة إلى دقة حتى لا يقع الخطأ في الفهم. إن وقوع الأخطاء المتعددة من قبل العلماء في هذه المسألة يعتبر تنبيه جدي على أنهم نظروا إلى هذه القضية نظرة سطحية و ربما وقعنا نحن أيضا بهذا الخطأ.

المصادر

[١] القرآن الكريم

[٢] ال گيسلر نورمن، فلسفة دين، ترجمة: حميد رضا آية اللهي، منشورات حكمت، الطبعة الأولى، طهران، ١٣٧٥ش.

[٣] التفتازاني، مسعود، شرح المقاصد، منشورات الشريف الرضي ، ١٤٠٩ ق .

[٤] بترسون، مايكل و مساعديه، عقل و اعتقاد ديني، ترجمة: أحمد النراقي و ابراهيم السلطاني، نشر نو، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ ش .

[٥] الجوادي الآملي، عبد الله، شناخت شناسى در قران، طبعة أهل البيت، قم، ١٣٧٠ش.

[٦] _____، عبد الله، تبيين براهين إثبات خدا، منشورات إسرا، قم ، (لاتا).

[٧] جان هيك، فلسفة دين، ترجمة بهزاد سالكي، منشورات الهدى، طهران، (لاتا).

[٨] الحر العاملي، محمد، اثبان الهداة، (لاتا) و (لا مكان).

[٩] ديكارت، رينيه، تأملات در فلسفة أولى، ترجمة: أحمد أحمدي، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ١٣٦١ش.

[١٠] الرباني الكلبايكاني، علي، هدايت و معرفت فطرى در احاديث اسلامى، مجلة كيهان انديشة، العدد ٨٤، ١٣٧٨ ش.

[١١] السبحاني، جعفر، عقايد اسلامى، منشورات دفتر تبليغات اسلامى، قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[١٢] السبزواری، هادی، شرح المنظومه ، نشر ناب، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ق.

[١٣] الشرتوني، سعيد الخوري، أقرب الموارد، لا تاريخ و لا مكان.

[١٤] الصدوق، محمد، الخصال، منشورات جامعة المدرسين، قم، ١٣٦٢ش.

[١٥] ـــــــــ، التوحيد، منشورات جامعة المدرسين، قم، ١٣٦٢ ، (لاتا).

[١٦] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، منشورات دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الخامسة ،١٣٧٢ش.

[١٧] الفيومي، أحمد، المصباح المنير، لا مكان، ١٩٢٩م.

[١٨] فولكيه، بل، فلسفة عمومى، ترجمة: يحيى مهدوي، منشورات دانشگاه طهران، ١٣٧٠ ش.

[١٩] الفيض الكاشاني، محسن، علم اليقين في أصول الدين، منشورات بيدار، قم، (لاتا).

[٢٠] الكاظمي الخراساني، محمد علي، فوائد الاصول (تقريرات درس المرحوم آية الله النائيني)، منشورات جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٦ق.

[٢١] كانت، عمانوئيل، تمهيدات، ترجمة: غلام علي حداد عادل، مركز نشر دانشگاهي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٠ش.

[٢٢] كانت، عمانوئيل، سنجش خردناب، ترجمة: مير شمس الدين اديب سلطاني، منشورات امير كبير، طهران، ١٣٦٢ ش.

[٢٣] المطهري، مرتضى، مجموعة آثار، ج١، علل گرايش به ماديگرى، منشورات صدرا، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢ ش.

[٢٤] ـــــــــ، فطرت (الفطرة)، منشورات صدرا، طهران و قم، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢ش.

[٢٥] مصباح اليزدي، محمد تقي، آموزش عقايد، شركت چاپ و نشر بين الملل (شركة الطبع و النشر العالمية) ، طهران، الطبعة الخامسه، ١٣٨٠ ش .

[٢٦] ـــــــــ، آموزش فلسفه ،منشورات سازمان تبليغات اسلامى (موسسة الاعلام الاسلامى) الطبعة الثالثه ، ١٣٦٨ش.

[٢٧] ـــــــــ، معارف قرآن، منشورات مؤسسة در راه حق (في طريق الحق)، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.

[٢٨] المظفر، محمد رضا، المنطق، منشورات اسماعيليان، قم ، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ش.

[٢٩] الواعظ الحسيني، محمد سرور، مصباح الاصول (تقريرات درس المرحوم آية الله السيد الخوئي)، منشورات الداوري، قم، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ق.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

خداباوری فطری در ترازوی نقد

محمد رسول آهنگران[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۳/٦ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۳/۱۷

از نقطه نظر بسیاری از عالمان و صاحب نظران علوم اسلامی، مسأله خداباوری امری فطری است. شهرت این نظریه بیشتر به خاطر دلایل نقلی فراوانی است که در آغاز تصور می‌شود که مراد از آن فطری بودن خدا باوری است چنان‌که از دیرباز در کتب روایی بابی مربوط به این جهت وجود داشته و دارد.

در این مقاله ملاحظه می گردد که خدا باوری نه فطری به معنای احساسی است و نه به معنای ادراکی چرا که هیچ کدام از معیارهای فطری احساسی تمام نیست همانطور که فطری ادراکی بودن هم به خاطر نیازمندی به کندوکاو عقل برای تصدیق رد شبهات، قابل قبول نیست و این در حالی است که مفهوم خدا در مرحله تصور نیازمند دقت و بررسی فراوان است که این ثابت می کند مفهوم مزبور جزو مفاهیم نظری است . با این تفاصیل مشخص می‌گردد که مراد از دلایل نقلی هم آنچه که در ابتدا به نظر می‌رسد، نمی‌باشد.

واژه‌های کلیدی: فطرت، جبلی، نظری، بدیهی، اولیات، اعتقاد به خدا

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱. استادیار دانشگاه تهران، پردیس قم